ألف حكاية وحكاية (٩٧)

حادث فى طفولته

وحكايات أخرى

يرويها

يعقوب الشارونى



رسوم

عبد الرحمن بكر

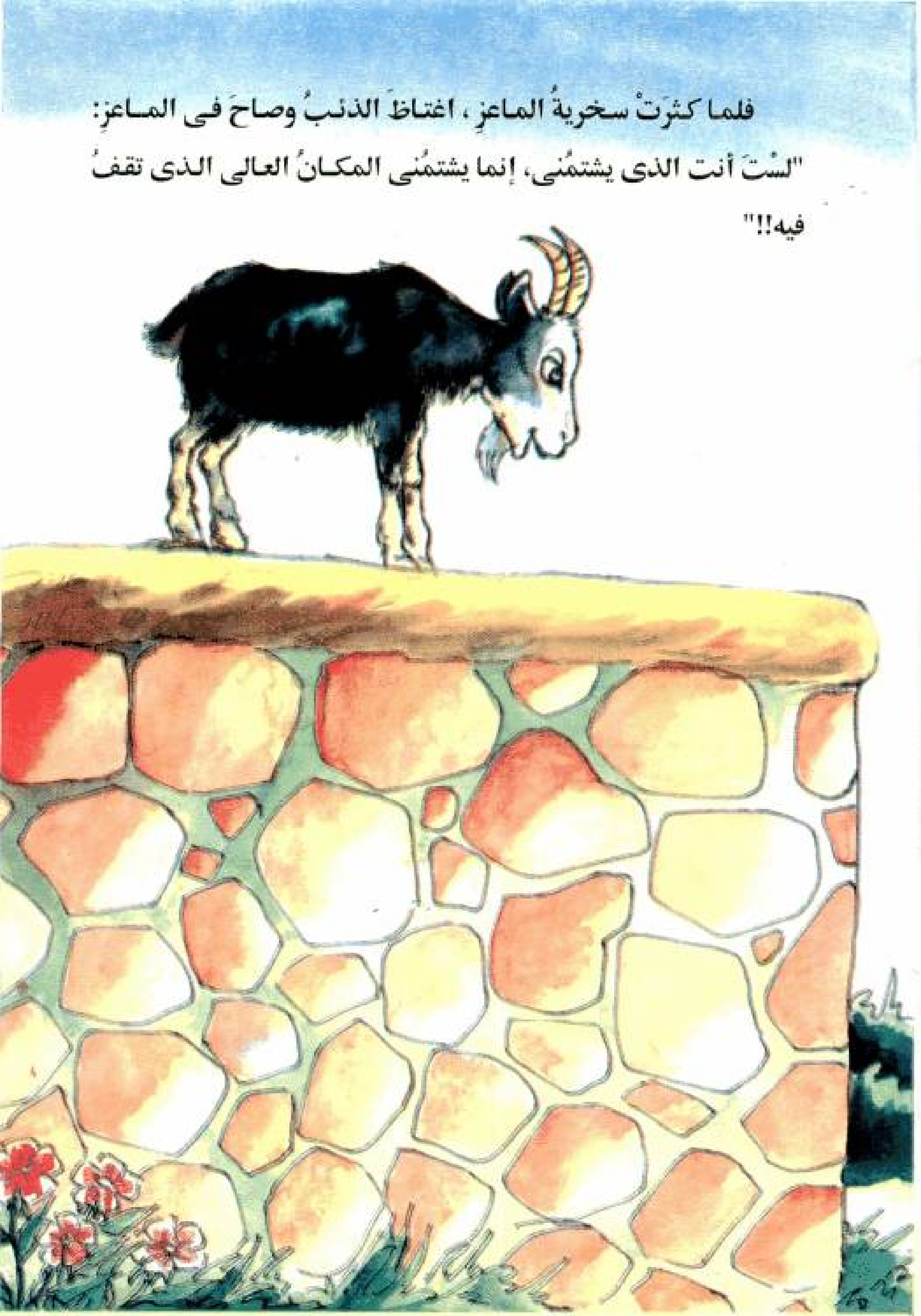
الناشر
مكتبة مصر
سعيد جودة السحار وشركاه
٣ شارع كامل صدقى - الفجالة
ت: ٥٩٠٨٩٢٠

لست أنت بل المكان العالى

رأى ماعزٌ ذئبًا، فأسرعَ يقفزُ فوق سورٍ مرتفعٍ . واقتربَ الذئبُ من السورِ ، فصعدَ الماعز إلى أعلى مكانٍ فيه ، ونظرَ إلى الذئبِ ، وصاح: "مَنْ تظنُّ نفسَكَ حتى تُطارِدَني ، وأنت تخافُ من نباحِ كلبٍ ؟! هل تجرؤُ فتصعدَ إلى حيثُ أقفُ ؟! ستخافُ أن تسقطَ وتُكسَرَ رقبتُكَ!! أنت جبانٌ لا تشعرُ بالقوةِ إلا في وجودِ زملائكَ معكَ!"

واستمرَّ الماعزُ يسخر من الذئبِ ويهزأ بهِ.والذئبُ ينظرُ إليهِ ولا يستطيعُ الصعودَ ليقضِيَ عليه ويفترسَهُ.




فلما كثُرَتْ سخريةُ الماعزِ ، اغتاظَ الذئبُ وصاحَ فى الماعزِ:
"لسْتَ أنتَ الذى يشتمُنى، إنما يشتمُنى المكانُ العالى الذى تقفُ فيه!!"

الدليل فى الدسم

ذاتَ يومٍ ، ذهبَ رجلانِ إلى القاضى للفصلِ فى أمرِهما ، فقَال أحدُهما:

"أنا راعٍ فقيرٌ ، وقد ذبحْتُ بالأمسِ أحدَ خرافى ، وبعتُ لحمَهُ اليومَ فى السوقِ ، ووضعْتُ المبلغَ الذى حصلْتُ عليهِ فى كيسِ نقودى ، ووضعْتُ الكيسَ فى جيبى، لكنَّ هذا الرجلَ سرقَهُ منِّى."

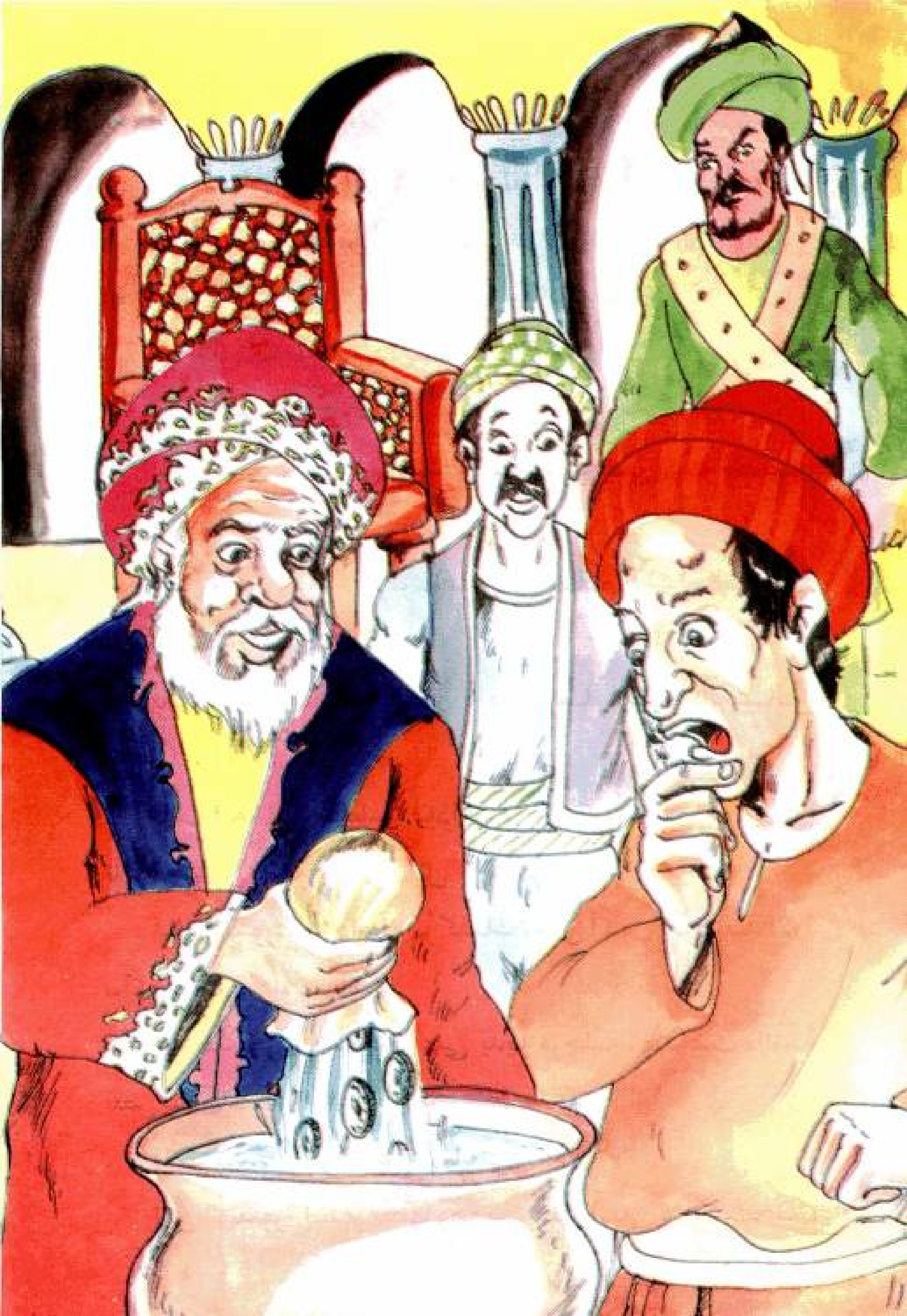
وأنكرَ الثانى ذلك ، وقالَ:

"هذا الراعى كاذبٌ .. إن الكيسَ هو كيسُ نقودى ، وهذا الرجل يُريدُ أن يحتالَ ليستولِيَ عليه."

وفكَّرَ القاضى الحكيمُ قليلاً ، ثم أمرَ بإحضارِ وعاءٍ به ماءٌ ساخنٌ ، وألقى قطعَ النقودِ المعدنيةَ فيه ، وعلى الفورِ غطَّتْ سطحَ المياهِ طبقةٌ من الدسمِ.

قالَ القاضى: "هذه النقودُ كان يمسكُ بها شخصٌ تلوَّثَتْ يداه بالدهونِ ، وهو ما يؤكِّدُ أقوالَ الراعى."

ثم أعطى الراعِيَ نقودَهُ ، وأمرَ الحُرَّاسَ بإلقاءِ اللصِّ فى السجنِ.



الولد هو الأفضل

ذاتَ صباحٍ ، قالَ الصبىُّ منصور لوالدتِـهِ: "لمـاذا خلقنــى الله ولـدًا!؟ لمـاذا لم يخلقنــى بقـرةً مثـلاً ، فـلا أضطـرَّ أن أذهــبَ إلى المدرسةِ، ولا إلى عملِ الواجباتِ المنزليةِ الكثيرةِ؟"

ثم تخيَّلَ أنه بقرةٌ ، وبدأ يقلِّدُ صوتَها "مو ... مو."

قالتِ الأمُّ: "لا تكُنْ غبيًّا."

لكن "منصور" قضــى الصبـاحَ كلَّـهُ يسيرُ علـى يدَيْـهِ وقدَميْـهِ، ويقولُ: "مو ... مو."

وفى موعد الغداءِ ، نظرَ منصور إلى الطعامِ الذى قدَّمَتْهُ إليـه والدتُهُ ، وسأل: "ما هذا؟!؟"

فقـد وضعَـتْ لـه أمُّـهُ علــى الأرضِ طبقًـا مملـوءًا بالحشـائشِ الخضراءِ.

قالتْ أمُّهُ: "إنه طعامُكَ . فإذا أردْتَ أن تكونَ بقرةً، فيجبُ أن تأكلَ حشائشَ بصفةٍ مستمرةٍ، مثلَ كلِّ البقرِ."

قالَ منصـور: "ما دام الأمرُ كذلك ، فلن أكونَ بقرةً بعـدَ الآنَ . سأكونُ كلبًا .. هاو .. هاو .."

ثم أخذَ يجرى هنا وهناك على يَدَيْهِ ورجلَيْهِ ، ويُداعِبُ والدتَهُ بعضِّ ساقَيْها.

قالَتْ والدتُهُ: "توقَّفْ عن مُضايَقتى."

لكن "منصور" استمرَّ يعضُّها وهو يسيرُ على أربعٍ. عندئـذٍ انحنَتْ

أمُّهُ ، ورَفَعَتْهُ بين يدَيْها ، وحملَتْه إلى الصندوقِ الذى يعيشُ فيه الكلبُ ، فسألَها: "ماذا تفعلين؟!"



قالَتْ والدتُه: "إذا كنْتَ تُفضّلُ أن تكونَ كلبًا ، فلابدَّ أن تعيشَ حيثُ يعيشُ كلبُنا رعد !"

صاح منصور: " لا .. لا .. أنا لسْتُ كلبًا."

ثم اعتدلَ في وقفتِه ، وأخذَ يلوّحُ بذراعَيْهِ مقلّدًا الطيورَ وهو يقولُ: "أنا عصفورٌ .. أنا طائرٌ."

قالَتْ أمُّهُ: "تصرفاتُكَ غريبةٌ اليومَ يا منصور ."

لكن "منصور" استمرَّ يحرّكُ ذراعَيْهِ كالأجنحةِ ، وهو يقلّدُ صوتَ الطيورِ: "تويت .. تويت .. تويت .."

وعندَما دخلَ والدُ منصور عائدًا من عملِه ، وشاهدَ "منصور"



يقلِّدُ الطيورَ ، فقالَ:

"هذا طائرٌ ظريفٌ. يجبُ أن نصنعَ قفصًا نضعُه فيه ، حتى يستطيعَ أن يغرِّدَ لنا طوالَ النهارِ !!"

لكن "منصور" لم تُعْجِبْهُ هذه الفكرةُ أبدًا ، فوقفَ معتدلاً وقالَ:

"لقد قررْتُ أن أظلَّ ولدًا ... ولدًا فقط!!"

قالَتْ والدتُهُ ، وهى تجلسُ مع والدِهِ إلى مائدة الطعام:

"هذا أفضلُ ، فقد أعددْنا لك الطعامَ الذى تحبُّهُ: دجاجًا مشويًّا، وأرزًا باللبنِ ."

وفى سعادةٍ قالَ منصور: "هذا عظيمٌ ، فمن الأفضلِ أننى ولدٌ ، ولسْتُ أىَّ شىءٍ آخرَ !!"



بقرة تشرب من بِرْكَة

سكبَتِ ابنتى الصغيرةُ دهانًا أبيضَ كنْتُ أضعُهُ على المائدةِ ، فأمرْتُها أن تُحضِرَ خرقةً لتنظيفِ الدهانِ.

ذهبَتِ الطفلةُ وأحضرَتِ الخرقةَ، وبدأتْ فى تنظيفِ المائدةِ بهدوءٍ، ثم اندفعَتْ تعملُ فى حماسٍ وهى تتأمَلُ لونَ الطلاءِ الأبيضِ ، وقد أخذَ يملأ الخرقةَ القاتمةَ بمختلفِ البُقَعِ والأشكالِ.

وفجأةً برقَتْ عينا ابنتى بعد أن أتمَّتْ مسحَ البقعةِ. قالَتْ وهى تنشرُ قطعةَ القماشِ أمام عينىَّ: "انظرْ يا أبى .. لقد رسمَ الطلاءُ على الخرقةِ شكلَ بقرةٍ تشربُ من بِرْكةٍ."

وتأملْتُ البقعةَ البيضاءَ ، فلم أستطعْ أن أرى بقرةً ولا بركةً ، ولكنها كانَتْ أمامَ خيالِ الطفلةِ الواسعِ ، شيئًا له معناهُ وجمالُهُ ، مما أثارَ حماسَها وسعادتَها.

قلْتُ لنفسى: "لعلَّ أكبرَ خطأ نقعُ فيه أننا نفكّرُ فى النتائج فقط، وننسى الاستمتاعَ بالوسيلةِ التى نستخدمُها للوصولِ إلى هذه النتيجةِ . فى حين أن استخدامَ خيالِنا لِنُحِبَّ الوسيلةَ ، هو أفضلُ طريقةٍ لإتمامِ ما نُريدُ أن نُتِمَّهُ من أعمالٍ."



جحا والشحاذ

طرقَ شخصٌ بابَ بيتِ جحا ، فصاحَ من الطابقِ العلويِّ يسألُ عن الطارقِ ، فسمعَ مَنْ يقولُ:

"انزلْ يا جحا ... أريدُكَ في أمرٍ مهمٍّ."

وارتدى جحا ملابسَهُ التي يُقابِلُ بها ضيوفَهُ ، ونزلَ درجاتِ السلمِ الكثيرةَ.

وعندما فتحَ البابَ الخارجِيَّ ، وجدَ مَنْ يقولُ له:

"أرجوكَ يا جحا ... أعطِني مما أعطاكَ اللهُ."

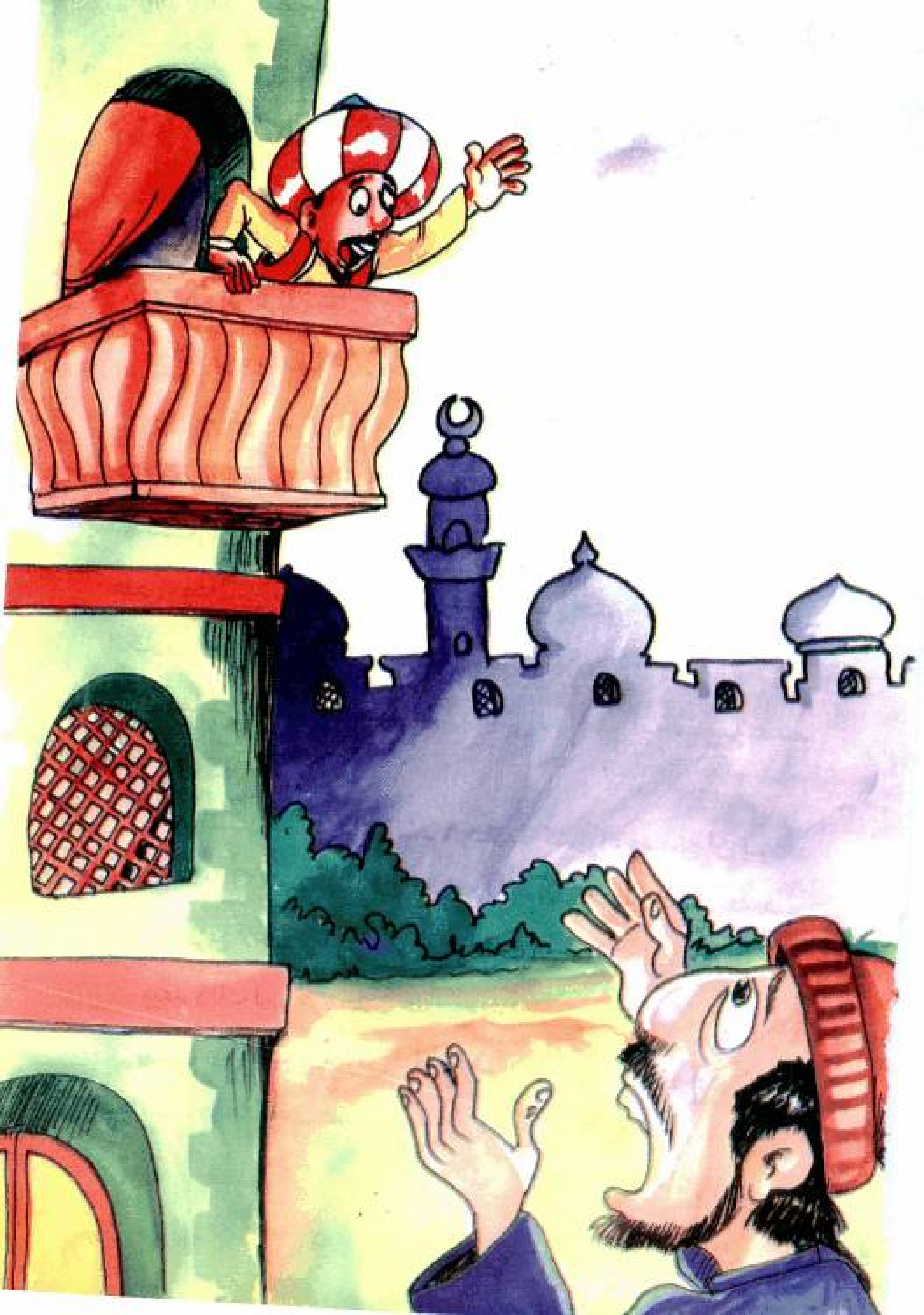
وشعرَ جحا بغيظٍ شديدٍ من ذلك الشحاذِ الذي أنزلَهُ من بيتِهِ ، وقطعَ عليه راحتَهُ.

لكنَّ جحا كتمَ غيظَهُ ، وابتسمَ في وجهِ الرجلِ ، وقالَ له:

"اتْبَعْنِي .."

وعادَ جحا يصعدُ السلالمَ والشحاذُ خلفَهُ ، إلى أن وصلا الطابقَ العلوِيَّ، عندئذٍ التفتَ جحا إلى السائلِ وقال:

"اللهُ يحنَّن عليكَ!!"



حادث فى طفولته

سألوا أحدَ الزعماءِ الذين اشتهروا بشجاعتِهم وجرأتِهم:

"ما السرُّ فى هذه الجرأةِ التى تتمتَّعُ بها؟"

قالَ الزعيمُ:

أتذكرُ، عندما كنْتُ صبيًّا صغيرًا، أننى كنْتُ أسير فى أحدِ الطرقِ بقريتِنا، فرأيْتُ كلبًا كبيرًا ينامُ بجوارِ صاحبِه، فشعرْتُ بخوفٍ شديدٍ، والتصقْتُ بجوارِ الحائطِ المقابلِ، وصرخْتُ.

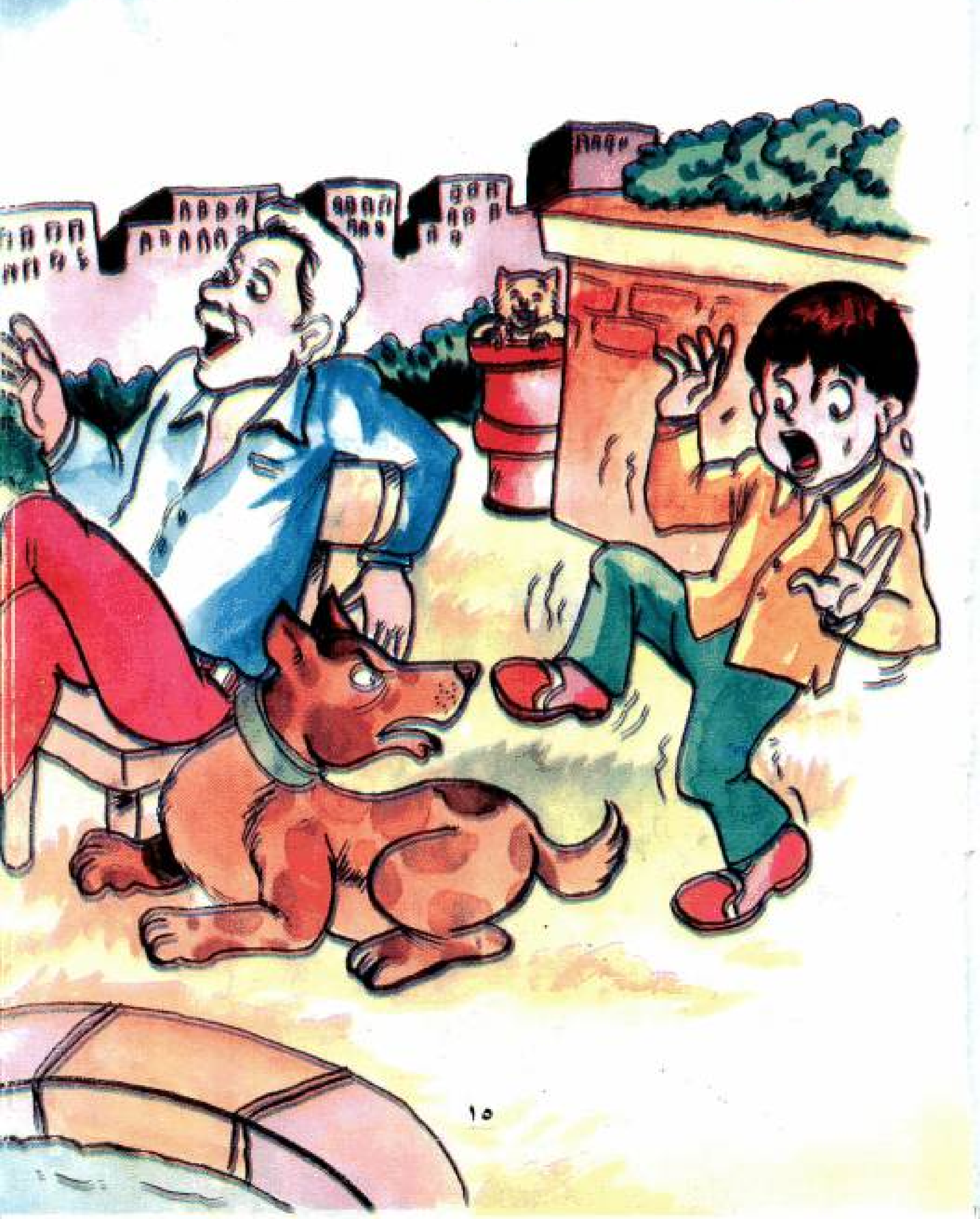
ومع أنَّ الكلبَ كان نائمًا، فإنه لمَّا رآنى أصرخُ منه، قامَ وهجمَ علىَّ، وعضَّنِى فى ساقى، ومازلْتُ أحملُ حتَّى اليومِ آثارَ ذلك الحادثِ.

ومما شجَّعَهُ على الهجومِ علَىَّ، أننى لم أظهِرْ أيةَ مقاومةٍ عندما اتَّجَه نَحوى.

وقد ظللْتُ أفكرُ فى ذلك الحادثِ كثيرًا، وبدلَ أن يزدادَ خوفى من الكلابِ، تعلَّمْتُ أن الثباتَ والشجاعةَ والمقاومةَ هى أفضلُ الطُّرقِ لأحمِيَ نفسى من مثلِ تلك الهجماتِ الغاشمةِ.

وبعدَ ذلك لم يجرؤ كلبٌ على الاقترابِ منى.

وكانَ هذا أقوى درسٍ تعلَّمْتُه فى حياتى لمواجهةِ مختلفِ المواقفِ، مهما كانَتْ صعبةً وقاسيةً.

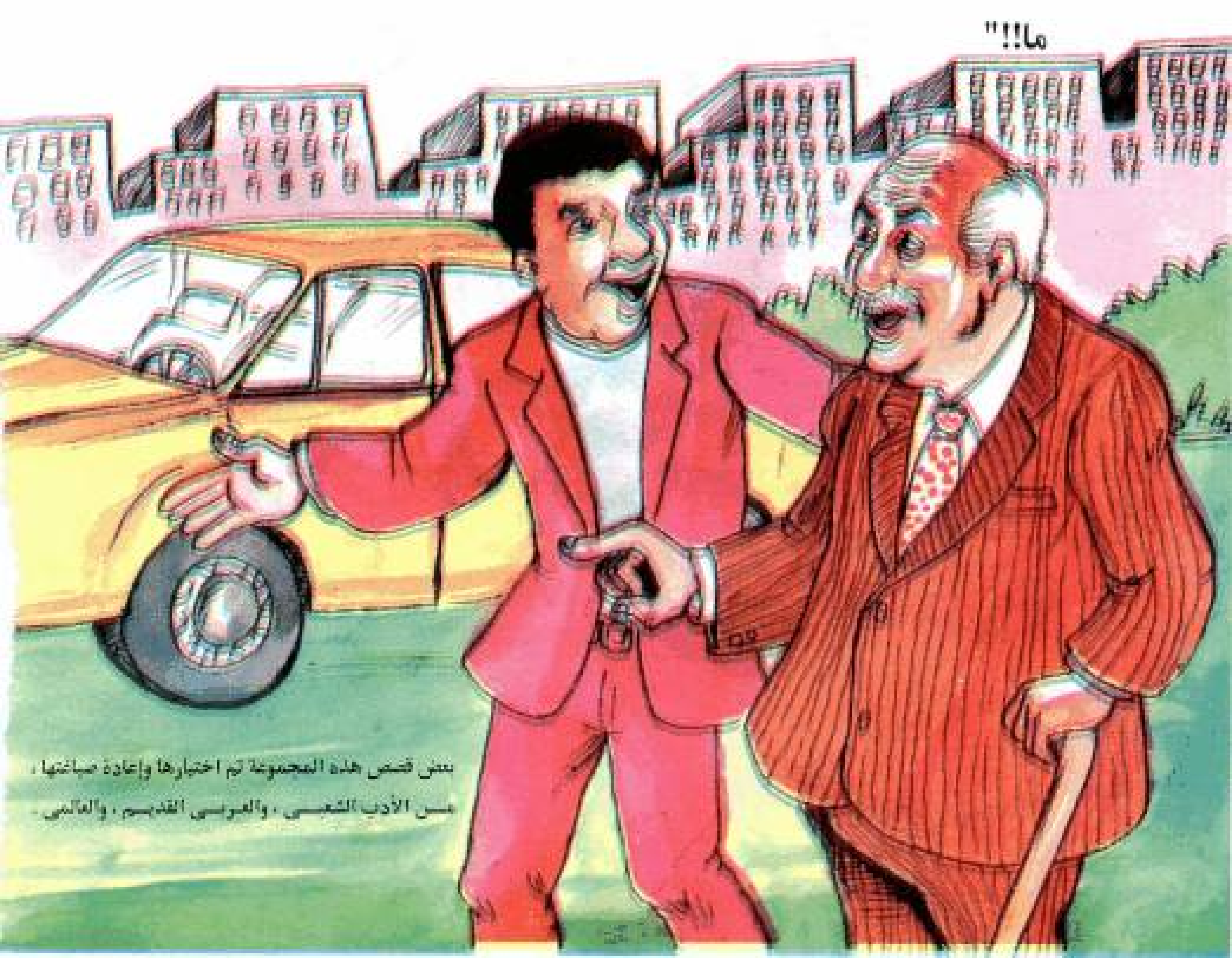


خير لى أن أمشى

أوقفَ الشابُ سيارتَهُ عندَما رأى رجلاً عجوزًا يسيرُ مجهَدًا فى حرارةِ الشمسِ ، وعرضَ عليه أن يصطحبَهُ معَهُ فى السيارةِ إلى أقربِ أتوبيس.

وتَقدَّمَ الشيخُ للركوبِ ، لكنه توقَّفَ وقالَ للشابِّ:

"لستُ أدرى ما ينبغى أن أفعلَ ، فقد دعانى أمس الأول أحدُهم للركوبِ معَهُ ، وركبْتُ . وأمسِ دعانى آخرُ للركوبِ ، وركبْتُ أيضًا . وها أنتَ تدعونى اليومَ . إننى أشعرُ أن قدمَيَّ كادتا تتعوَّدانِ الكسلَ ، فماذا أفعلُ إذا لم يدْعُنِى أحدٌ إلى ركوبِ سيارتِهِ ذاتَ يومٍ؟! أظنُّ أنه خيْرٌ لى أن أمشِيَ ، حتى لا تخذُلَنى رجلاى يومًا ما!!"



بعض قصص هذه المجموعة تم اختيارها وإعادة صياغتها ، من الأدب الشعبى ، والعربى القديم ، والعالمى .